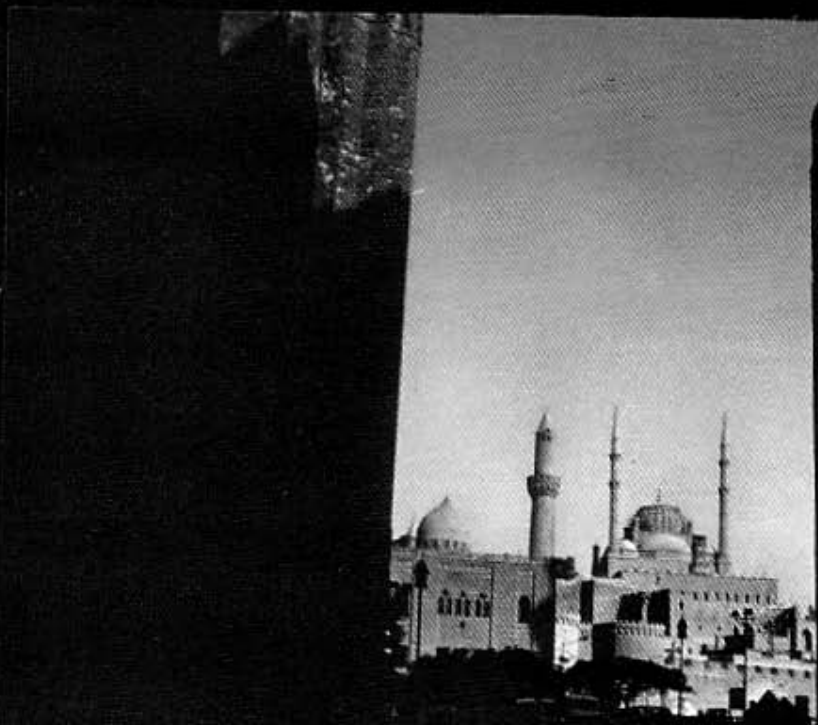


اصطلاحات

على

قلعة الناصر صلاح الدين



بِقلم: سليمان سيد قناوي

أطلال قلعة الناصر صلاح الدين



يتوقف بنا الزمان ...
نقلب في الصفحات المطوية ..
تحملنا الأوراق على سطوره ..
نتوقف ...
هنا .. اسم الله مرفوعاً ..
نتذكر ابن الأيوبي ..
وندخل إلى قلعته ..
الزمان : عام ٥٧٩ هجرية .
المكان : إحدى ربا القاهرة القديمة .
الموقف : صلاح الدين الأيوبي بعد أن
قضى على الدولة الفاطمية وقد رأى أن
مصر والقاهرة ، لكل واحدة منها سور
لا يحميها فقال : « إن أفردت لكل واحدة
سوراً احتاجت إلى جند كثير يحميها .
وإنى أرى أن أدير عليها سوراً واحداً من
الشاطئء» .. وأمر ببناء قلعة في
الوسط عند مسجد سعد الدولة على
جبل المقطم .. وكانت قلعة صلاح الدين
ربانا تزدهر وتعلو ..
قاهرة المعز .. مبيتسة ..
فأحجار الأهرام تتقطع ...
وأرض المقطم تزدان ..
وقباب القلعة تظهر ..



لم تكن الاسوار التي بناها صلاح
الدين قبل بناء القلعة الا صورة
منقحة لاسوار بدر الجمالي ، اما
القلعة فقد كانت فكرة مبتكرة .
وعلى الرغم من قصر مدة اقامة
صلاح الدين في القاهرة ، فقد رغب في
أن يجعل القلعة مقراً لسكناه ، ولكي
يفسر كيف اراد أن يشيدها كقلعة
للدفاع ، نعود إلى حملات صلاح الدين
في سوريا ، حيث لا تخلو سوريا من
قلاعها .. فنظر بعينه العسكرية ورأى
حاجة القاهرة إلى قلعة تحميها ،
فاختار صلاح الدين المكان لاقامة تلك
القلعة التي تحكم القاهرة على ارتفاع
(٢٥٠) قدماً ، ولو انه كان من ورائها
على الجبل مواقع أعلا ، تحكم موقع
القلعة ، وتشرف عليها بنيرانها ، فاننا
لانسى مكانة الاسلحة الحربية

وقام بأكثر أعمال نحت الاحجار :
الاسرى الفرنج الذين اسرهم صلاح
الدين في معاركه ، ولقد زار السائح
الاندلسي ابن جبير القاهرة في عام
١١٨٣م فشاهد الاعمال التي يقوم بها
الاسرى الفرنج وكان عددهم وثيراً جداً

يموت ابن الايوبى ..

فتنتطفى القلعة ..

اسراب اليوم تنفق ..

وحزن الاكوام يتجمع ..

فباتي الكامل ليكمل ..

مات صلاح الدين قبل أن ينتهي بناء
القلعة ، فاهمل العمل مدة إلى أن كانت
سلطنة الملك الكامل محمد ابن الملك
العاقل فاتم بناء القلعة ، وما برح
يسكنها حتى مات ، فاستمرت من بعده
«دار مملكة مصر» حتى عام ١٨٥٠م أي
بعد دخول محمد علي ، ولقد طرأت على
كل مبانيها تغييرات وازافات متعددة
لانرى فيها اليوم من أعمال صلاح الدين
الأولى سوى بعض أجزاء السور
والابواب .

ونترك صفحات التاريخ ..

لنتلمسه بأيدينا ...

تحملنا الأثار ونمشي ...

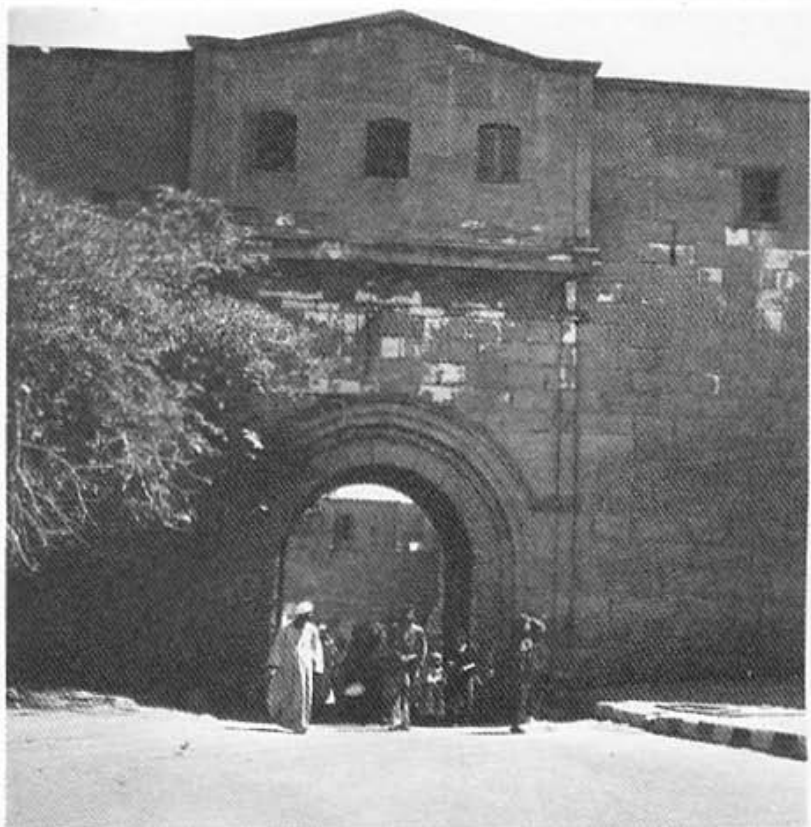
ننزل درجات التاريخ ..

وننتقل بين جنباته ...

هنا نحن الآن نصعد في الشارع المار

بحذاء سور القلعة إلى أن نصل إلى
بابها الكبير ، فتطالعنا فوقه لوحة من
الرخام تستقبلنا تلك العبارة التي
تشيع التفاؤل في نفس قارئها : «يا مفتح
الابواب» ونجتاز قبواً يعرض الباب
العظيم ، طوله نحو عشرة أمتار إلى أن
ندخل طريقاً واسعاً ، صاعداً إلى باب
آخر وبتلفت إلى الورا فترى اعلا
الباب الاول من الداخل لوحة عليها
باقي العبارة التي طالعتها من الخارج
وهي : «افتح لنا خير باب» ونمضي في
الطريق الذي تطل عليه أبراج المدافع
المتناثرة في سور القلعة العظيم والذي
دارت فيه موقعة المماليك المشهورة .
فاذا ما اجتزنا الباب الثاني ، وجدنا
في مواجهتنا : مسجد محمد علي ،
وخلفه قصر الجوهرة وإلى اليسار دار
صك النقود ، والمدرسة الحربية القديمة
وقصر الحرم ، ومسجد السلطان قلاوون
وبئر يوسف المشهور ...

كما نرى في هذه الناحية باب برج
المقطم ، الباب الثاني للقلعة الذي
يؤدي إلى جبل المقطم ، وفي دائرة قصر
الحرم نجد مسجداً صغيراً بناه
سليمان باشا ، أحد ولاة الأتراك في



ابن عبد الله المالكي الناصري في سنة
٥٧٩هـ (أي في عام ١١٨٣ - ١١٨٤م) .

تقع الاهرام وتتساقط...

لتختلر قلعة المظفر ..

في مكان الموتى ..

تنطلق الحياة ...

وتبعث الاحجار ..

ولكى يشيد صلاح الدين القلعة هدم
عدداً كبيراً من الاهرام الصغيرة التي
كانت بالجيزة تجاه مصر ، وكانت كثيرة
العدد ، ونقل ما وجد بها من الحجارة
وبنى به السور والقلعة وقناطر الجيزة
وهدم ما وجدته في موقع البناء من قبور

القديمة بجانب الاسلحة الحديثة ،
والنتيجة يجب أن لا تجعلنا نبخس
المهندسين العسكريين في القرن الثامن
حقهم من الكفاءة والمقدرة في فن العمار
.. فان عملهم لا يزال ملء اسماع الدنيا .

قراقوش يوجه رجاله ..

الاحجار تتراص وتعلو ..

القفر يتحول دنيا ..

والارض تصبح متراساً ..

وامر صلاح الدين بتنفيذ مشروع
بناء القلعة في عام ١١٧٧م واقام على
عمارتها الامير بهاء ائدين قراقوش
الاسدي الخصي ، احد امرائه
المخلصين ، ولم ينقض على العمل ست
سنوات حتى نقش على الباب المدرج
في الجدار الغربي ما نقراه إلى يومنا
هذا :

«بسم الله الرحمن الرحيم .. امر
بانشاء هذه القلعة الباهرة المجاورة
لمحروسة القاهرة التي جمعت نفعاً
وتحسناً وسعة على من التجأ إلى ظل
ملكه ، وتحصيناً .. مولانا الملك صلاح
الدنيا والدين .. ابو المظفر يوسف بن
ايوب .. محيي دولة امير المؤمنين على
يد امير مملكته ومعين دولته قراقوش

اطلالة

على قلعة الناصر صلاح الدين



سنة ١٥٢٨م وبين هذه الدور نشاهد الحداثق والأفنية الواسعة وترى أسوار القلعة الشاهقة بأبراجها المتينة وتحصيناتها الحربية العظيمة تحيط بنا من كل جانب ، وننظر من فجواتها فإذا القاهرة الواسعة تحيط بنا وقد بدت بناياتها وعمائرنا الشاهقة كالدمى الصغيرة التي لا يكاد الرائي يستبينها تتلاشى الأشياء وتتضائل ... نتوقف .. سابحين في عبق التاريخ سراديب الآمال تحلطنا ... نزل إليها .. لتلمس ... درجات التاريخ طويلة ... وبريق المرمز .. ينقلنا .. ونبدأ بزيارة مسجد محمد علي ..

(٢١٠٠) متر مربع ، وقد بدأ محمد علي بنائه في سنة ١٨٣٥م واستدعى لبنائه مهندساً من تركيا اسمه بوشناق ، وطلب أن يبنيه على نمط مسجد السلطان أحمد في الأستانة .. وقد توفي قبل أن يتم بناءه فدفن في الضريح الذي أعده لنفسه ، ثم أكمل البناء عباس الأول .

وهذا المسجد مغطاة جدرانته من الداخل والخارج بالرخام المرمرى المستخرج من محاجر بني سويف ، وارتفاع قبته على أرض المسجد (٥٣) متراً وقطرها (٢١) متراً ، وله مئذنتان رشيقتان يبلغ ارتفاعهما من مستوى أرض المسجد إلى قمتهما (٨٤) متراً ، ويصعد الصاعد داخلهما (٢٥٦) درجة ، ولذلك يرى هذا المسجد من جميع أنحاء القاهرة ، ومن أبعد المسافات فيها ، وهو مضاء بعدد كبير من الثريات الكهربائية ، يبلغ (٣٨١) مصباحاً ، وبالقبة الكبيرة نجفة من (٧٢) فرعاً ، وبناء المسجد مربع طول ضلعه (٤١) متراً ، وفي الركن الغربي القبلي فيه مقصورة من النحاس تحوى قبر محمد علي .. وجميع حوائط المقصورة وأعمدتها من المرمر المغطى

الأربع . وقد صعد الملك يومئذ برجها وأدار عقاربها بيده ... تتناثر قطرات الماء .. وتهفو ... وتربض السباع .. فتزار ... كانها شاهد التاريخ .. لأعيننا ... النقوش تملأ دنياناً ... والأرض .. تكاد .. أن تنطق ..

ونخرج من مسجد محمد علي إلى الساحة التي تتوسط ما بينه وبين قصر الجوهرة ، فنرى في وسطها الفسقية المرمرية البديعة بسباعها الأربعة التي تتدفق من أفواهاها المياه ، ونرى الكشك الخشبي الصغير القائم على حافة السور الكبير ، والمشرف على القاهرة كلها ثم الكشك الكبير الذي يتوسط الحديقة .

وندخل بعد ذلك إلى قصر الجوهرة من بابه المطل على هذه الساحة فنرى في صدر الممر المؤدي إلى غرف القصر وابهائه لوحة زخرفية رائعة تحمل إحدى كلمات محمد علي المأثورة : «إني لم أبلغ ما بلغت إلا بمشيئة الله ثم سمعتي بين شعبي» وعليها توقيع وتاريخ ميلاده في قوله سنة ١٧٦٩ م وتاريخ وفاته في القاهرة وفوقها شعاره السلطاني .

بالحرير السميك . وتدق الساعة الأثرية .. فنعود إلى حالتنا العصرية ... عقارب تاريخية تدق فينا... وثوان الزمن القديمة تلاعبنا ... فنعود إلى الكون الفجري .. وفي الرواق الغربي من صحن مسجد محمد علي نجد الساعة الأثرية الكبيرة التي أهداها محمد علي ملك فرنسا لمويس فيليب سنة ١٨٤٥ م ، وماتزال في برجها المزخرف الجميل الذي يرتفع عن مستوى أرض المسجد (١١) متراً .. وقد كانت هذه الساعة معطلة ، وبرجها مصدعاً ، وعندما رآها الملك فاروق لأول مرة توقف عندها وسأل عن سبب تعطلها فلما عرف أن الفنيين من المصريين والأجانب أجمعوا على استحالة إصلاحها ، ابتسم وأمر بنقل أجزاءها إلى ورشته الميكانيكية الخاصة بقصر عابدين ، حيث عكف الملك مع بعض الفنيين المصريين على إصلاحها في الوقت الذي رمم فيه برجها المهندسون الفنيون ، وفي يوم ٢٤ مايو عام ١٩٤٤م كانت الساعة في مكانها تبعث رنين دقاتها العالي على مدى عشرات الأمتار ، وتبدو للمناظرين من كل جهة من الجهات

حول مذه البئر خرافة تتلخص في ان من يزورها من النساء العاقرات تشفى من عقمها وتلد ، ولذلك كان يفد اليها كل يوم عشرات من النساء .

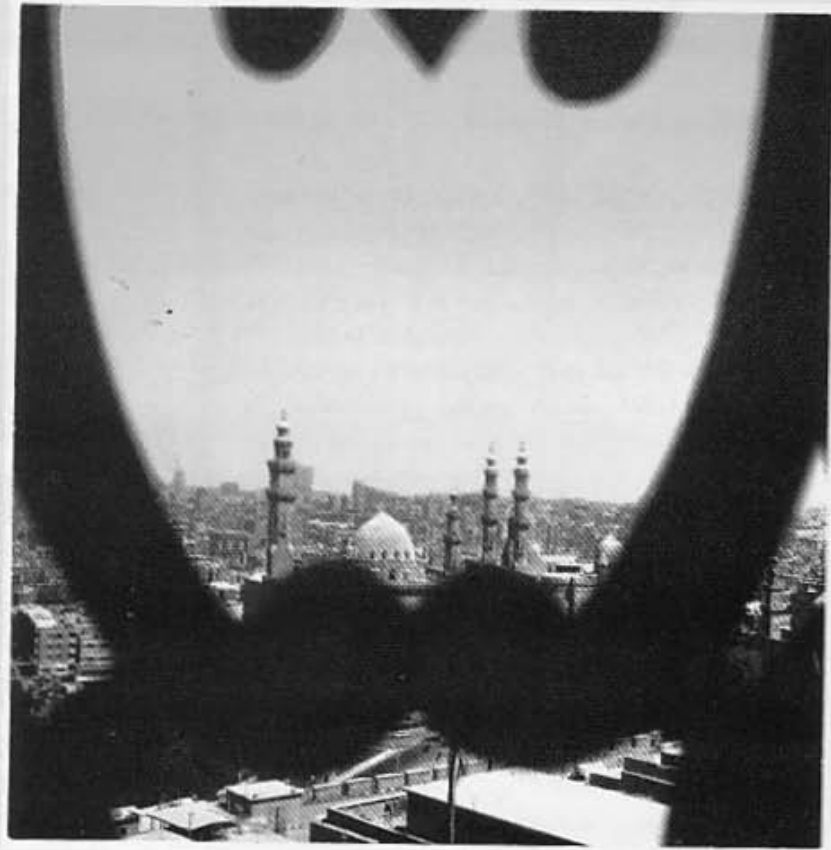
ونترك درجات التاريخ ونرحل ...
وتمتد خيوط الزمان لتتشابك ..
والكل لازال يحدق ...
الأثر مازال يمسكنا ...
وتجاعيد النقوش تأسرنا ...

والآن نعود الى النقطة التي بدأنا منها لنجد امام قصر الجوهرة ساحة كبرى مهدت في أعلى موضع من القلعة وغرست فيها حديقة نضرة ذات اشجار باسقة ، وفي وسطها نافورة من حولها سبع تخرج من اقواها المياه .
نعود .. نهجر الاكوان الفجرية ...
نستيقظ على ضجيج العصر ...
وزمام الدنيا التي تزحف ..
نسرح .. نجري .. ننور ...
كم كانت أيدي العصر .. ائمة ...

حين امتدت .. لتاكل نقوش الزمان
يحترس التاريخ في ابدينا ...
ونسكت ...

عبد الرحمن عبد التواب مدير الآثار
الإسلامية نستيقظ على صيحات تحذيره
من الخطر الذي يحدق بالقلعة .. فيقول :

إنه رغم أن معاهدة لاهي لحماية الممتلكات الثقافية تحرم نهائياً استعمال الأماكن الأثرية للاغراض الحربية وما شابهها ، حتى ولو استخدمت كمخازن .. فإن ذلك لم يمنع ادارة امدادات الشرطة وبعض الوحدات الأخرى من استخدام القلعة وبطريقة سيئة للغاية ، بلا ادراك لاهمية المكان التاريخية .. وإن هيئة الآثار قد طالبت هذه الجهات طوال السنوات الماضية بالخروج من المبنى الأثري بلا فائدة . بل انها تمادت واقامت مباني حديثة وورشاً داخل القلعة مما أدى الى تشويه منظرها الداخلي .. ويذكر مدير الآثار الإسلامية أن هناك الكثير من المشروعات السياحية المعطلة لاستغلال القلعة وتاريخها ، مثل : عمل تذكرة موحدة نسائح يركب بها عربات «حظور» صغيرة تطوف به أنحاء القلعة بينما يرثي الحراس الزي الملوكي ، وكذلك مشروع انشاء كافيتريا على الطريقة العثمانية ، وإعادة مشروع الصوت والضوء ، وإن كل هذه المشاريع ستجذب السائح من جديد الى قلعة صلاح الدين ...



وتمتد الدرجات وتمضي ...
لازال في القصور كثير ...
وبئر التاريخ .. لا ينضب ..

وندخل قصر الحرم الذي بناه محمد علي لسكنه الشخصي هو والأسرة العلوية ، وسكن حاشيته وجنوده ، ويتكون من ثلاثة أجنحة ضخمة فيها نقوش بديعة ، وفي هذا القصر كان يقيم الجيش المصري وفرسان الحرس الملكي والمتحف الحربي ، والى جوار قصر الحرم نجد دار صك النقود ، وكانت منتشرة من قبل عهد محمد علي ، فلما تولى هو عرش مصر جدها ، واثبت هذا النجديد في لوحة من الرخام مازالت تعلق باب الدار الأوسط وقد كتب عليها ما يأتي : «جدد هذا المكان المبارك الوزير الأعظم محمد علي باشا» وكان ذلك في عام ١٢٢٧ هـ وكان يعمل في هذه الدار في عهد محمد علي (٥٠٠) عام ، واشتهرت النقود المصرية والميداليات التي كانت تضرب وقتئذ في جميع اقطار العالم بجودة الصنع وضبط العيار .

ونزور بعد ذلك بئر يوسف التي بناها صلاح الدين على عمق (٨٨) متراً في قاع الأرض لتخزين مياه النيل ، وكانت تدور

وقد بنى محمد علي هذا القصر سنة ١٨١٢ م على أن يخصص لاستقبال السفراء وكبار الزائرين ، وهو يحتوي على غرف واسعة منها : القاعة التي كان يجلس فيها على أريكة تتصدرها فيشرف من النوافذ التي خلفه على القاهرة كلها ، ومنها قاعة العرش ، وقاعة الحفلات الكبرى ، وقد أعادت أيدي الفنيين المصريين هذا القصر الى حالته الأولى بنقوشه وزخارفه التي تملأ سقفه وجوانبه ، ومن بين هذه النقوش مجموعة من صور الأسطول المصري في عهد محمد علي .. وتعتبر سجلا هاما ينفرد به هذا القصر ..

وقد الحق بهذا القصر حمام محمد علي المرمرى المشهور .. وهو مبني على النمط التركي المعروف ، كما الحق به بناء أعد ليكون متحفا للفن .

ونخرج من قصر الجوهرة الى فناء يفصل بينه وبين سراي العدل التي تتكون من عدة غرف تتوسطها قاعة كبيرة .. تصل في الطول الى (٥٠) متراً وفي العرض الى (٢٠) متراً ، وكان يعقد فيها محمد علي مجالس استشاراته ومجالس احكامه ، وكانت دواوينه تشغل باقي الغرف .